نداء المعاني في القرآن الكريم

إعداد

د. تهاني محمد الصفدي

الأستاذ المشارك في جامعة الأمير سلطان-

كلية البنات- الرياض

تخصص: اللغة العربية/ النحو والتصريف وفقه اللغة

نداء المعاني في القرآن الكريم

تهاني محمد الصفدي

قسم اللغويات جامعة الأمير سلطان- كلية البنات-الرياض تخصص: اللغة العربية/ النحو والتصريف وفقه اللغة

البريد الإلكتروني : tsafadi@psu.edu.sa

الملخص

هذه الدراسةُ دُوِّن فيها نداء غير العاقلِ من المعاني (المصادرِ): وذلكَ كنداءِ الويلِ والعجبِ والحسرةِ وخلافِها ممَّا كثُرَ في لغةِ العربِ، ولم يرد في كتبِ النُّحاةِ إبرازٌ لهذا الصنفِ أو معالجةٍ، وكل ما عرضَ من شواهِدِهِ إنَّما كانَ ضمنِ إحدى قواعدِهِ المتعلِّقةِ بالإعرابِ أو حالِهِ عندَ الإضافةِ لياءِ المتكلِّمِ ولغاتِهِ دونَ المساسِ بصنفِهِ وصحَّةِ ندائِهِ وغرضِ ندائِهِ. وقد ذكرت شواهد التنزيلِ بالتحليلِ والإبانةِ؛ تكشيفًا للغُنيةِ التأويليةِ في مُدوَّنةِ النداء بمستوياتِ الدَّرسِ اللغويِّ المعهودَةِ.

الكلمات المفتاحية: تعرف النداء، أنواعه، نداء العاقل، نداء غير العاقل، نداء المعاني والمصادر.

Call meanings in the Holy Quran

Tuhani Mohammed Al-Safadi
Department of Linguistics, Prince Sultan University, College of Girls, Riyadh. Specialization: Arabic Language / Syntax and Philology
Email: tsafadi@psu.edu.sa

Abstract
In this study, the call of the unreasonable from the meanings (sources) was written down: This is like the call of woe, wonder, heartbreak, and other things that abound in the language of the Arabs, and there is no mention in the books of grammarians highlighting or addressing this type, and all that was presented of its evidence was within one of its rules related to the inflection or its condition When adding the speaker and his languages, without prejudice to his category, the correctness of his call and the purpose of his call. The evidence for downloading has been mentioned by analysis and clarification; An index of the interpretive richness in the blog of the call at the usual levels of the linguistic lesson.

Keywords: Knowing The Call, Its Types, The Call Of The Sane, The Call Of The Unreasonable, The Call Of Meanings And Sources.

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، فاتحةُ كلِّ خير، وتمامُ كلِّ نعمة، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ النَّبيِّين وخاتمِ المرسلين، وعلى آلهِ الطَّيِّبين الطَّاهرين، وعلى صحبِه الغُرِّ الميَامِين، ومَن تبعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

أمَّا بعدُ؛ فحقُّ النِّداءِ أن تعطفَ بِهِ الْمُخَاطبَ عَلَيْك فتُنبِّهَهُ ليُقبِلَ، ثمَّ تخبرُهُ أَو تَأمرُهُ أو تنهاهُ أَو تسألُهُ، أَو غيرُ ذَلِك مِمَّا توقعه إِلَيْهِ، ولذا كانَ المنادى مُخْتَصًّا من غَيرِهِ حينَ قَوْلِكَ: يَا زيدُ وَ يَا قومُ.(١)

ولهُ أركانٌ ثلاثةٌ؛ أداةُ النِّداءِ(٢) والمنادى والغرضُ الذي نُودِيَ من أجلِهِ، ولذا كانَ الأصلُ في المنادى أن يكونَ عاقلاً ليستجيبَ للدعوةِ أو يُحدِثَ أثرًا، وقد يأتي بخلافِهِ بأن يكونَ غيرَ عاقلٍ في حالاتٍ مُعيَّنةٍ لأغراضٍ مختلفةٍ.

وقد كانَ للنُّحاةِ حديثٌ عن أضربِ المنادى من حيثُ كانَ مفردًا أو مضافًا أو مضارعًا للمضافِ بطولِهِ؛ ممَّا يُفضي إلى معرفةِ إعرابِهِ نصبًا وبناءً، وعليهِ دارَ كلامُهُم(٣)، غيرَ أنَّهُم لم يحفلوا كثيرًا بدراسةِ أنواعِهِ من حيثُ عقلَ أو لا؟ فاستجابَ أو كفَّ؛ فكانَ لندائِهِ غرضٌ بديعٌ لا يقلُّ أهميَّةً عن إقبالِ العاقلِ، وفيما يأتي تقسيمُهُ وفقَ هذا:

أنواع المنادى (من حيثُ كانَ اسمًا عاقلاً أو غير عاقلٍ أم غيرَهُ):

المنادى إمَّا أن يكونَ اسمًا على الأصلِ أو حرفًا على خلافٍ فيهِ أو فعلاً، وبيانُ ذلك:

---

(١) ينظر: المقتضب ٣/ ٢٩٨، الأصول ١/ ٣٢٩.

(٢) واختلف النحاة في عدد أحرف النداء، فقد عدها سيبويه خمسة هي. (يا، أيا، هيا، أي، الهمزة) الكتاب ٢/٢٢٩.

(٣) ينظر: الأصول ١/ ٣٢٩، اللمع ١٠٦.

- المنادى الحرف: وردَ مجيئُهُ في ليت ورب وحبذا، معَ خلافٍ في كونِ (يا) تنبيهًا أو نداءً محذوفَ المنادى على نحوِ الذي سيُذكرُ في الفعلِ بعدُ[١]؛ إذ لم يُفرِّق النَّحويُّونَ بين ورود الحرفِ والفعلِ بعدَ يا في التَّوجيهِ.
- المنادى الفعل: وقد جاءَ مباشرةُ حرفِ النِّداءِ الفعلَ كثيرًا في لغةِ العربِ، نحوَ قولِ اللهِ تعالى: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾[٢]، وكانَ للنُّحاةِ تناولٌ لمثلِ هذا وتوجيهٌ بأنَّ حرفَ النِّداءِ تجرَّدَ للتنبيهِ، وأنَّهُ كقولهِم "هَلُمَّ" في التنبيهِ على الأمرِ، ونُقِلَ عن أبي العباسِ ومن تبعَهُ كالعكبري في التبيان[٣] أنَّهُ على حذفِ المنادى، ورُدَّ بثلاثةِ أسبابٍ؛ الأوَّلُ ما يؤدِّيهِ حذفُ الفعلِ الذي نابَ عنهُ حرفُ النِّداءِ معَ حذفِ المنادى من إجحافٍ في الأسلوبِ[٤]، والثَّاني عدمُ اطِّرادِهِ إذ قيلَ ولا مخاطبَ ثمَّةَ، كما في قولِ مريمَ عليها السَّلامُ: ﴿ يَالَيْتَنِي مِتُّ ﴾[٥]، والثَّالثُ لكونِ قبولِ ادِّعاءِ الحذفِ مرهونًا بظهورِهِ في مواطنَ أخرى، وقيَّدَ ابنُ مالكٍ جوازَ الحذفِ بوجودِ الأمرِ أو الدعاءِ.[٦]
- المنادى الاسم: وهو على ثلاثةِ أحوالٍ:
  - العاقلُ: وهو الأصلُ في النِّداءِ لتتحقَّقَ الغايةُ منهُ بتنبيهِ مخاطبٍ

(١) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد ٢/ ٤٨٦-٤٨٧.

(٢) سورة النمل آية ٢٥

(٣) التبيان ٣٧٢/١.

(٤) انظر: الكتاب ٤/ ٢٢٤، **إعراب القرآن** ٢٨٩، الخصائص٢/ ١٩٨، البحر المحيط ٧/ ٦٩، شرح **الكافية للرضي**، ٢/ ٣٨١.

(٥) سورة مريم آية ٢٣.

(٦) **ينظر: شرح التسهيل ٣/ ٣٨٩- ٣٩٠.**

أو أكثرَ بما يُحقِّقُ الإجابةَ في شأنٍ معيَّنٍ، وهذا ما يُسمَّى نداءً حقيقيًّا.

ونداء العاقل في القرآن الكريم هو الغالب والأكثر، وقد توزع بين نداء العموم بأنماطه الستة؛ نداء الأنبياء والمرسلين بأسمائهم وصفاتهم، نداء المؤمنين، ونداء أولي الألباب، ونداء بني إسرائيل، ونداء أهل الكتاب، ونداء الكفار، وفي ضوء الخطاب الندائي بخصائصه البلاغية نستحضر بلاغة القرآن في تحقيق مقاصده وأحكامه، التي يهدف إليها في النداء عموما تعليما وتوجيها وسلوكاً.

- غيرُ العاقلِ (من الجمادِ والحيوانِ والأرض والسماء): وهو واردٌ بكثرةٍ في كلام العربِ شعرِهِ ونثرِهِ، والمشهورُ عند النحويين أن غير العاقل إذا فَعَل فِعْلَ العاقل جرى مجراه[1]. فلذا يجوزُ نداءُ البحرِ؛ لاتِّصافِهِ بالجريِ الذي هو مِن فعلِ العاقلِ، وكذا النَّملُ لاتصافِهم بصفةِ مَن يسمعُ ويعقلُ. وقد يخلُصُ للتَّنبيهِ فيما سوى ذلك كنداءِ الدَّارِ والصَّبا[2].

ونداءُ اللهِ تعالى للجمادِ -كما جاءَ في غيرِ موضعٍ في القرآنِ الكريمِ- إنَّما كانَ لانقيادِهِ ونزولِهِ عندَ مشيئتِهِ بما أحدث فيهِ من إدراكٍ وفهمٍ لمعاني الخطابِ على أرجحِ الأقوالِ[3].

(١) ينظر: المقتضب ٢/ ٢٢٥، شرح التسهيل ١/ ٧٨.

(٢) الخصائص ٢/ ٢٨١.

(٣) ينظر: الكشاف ٢/ ٢١٧، البحر المحيط ٥/ ٢٢٨.

منهج البحث

اتضحت حاجتي إلى منهجين من تلك المناهج، هما:

المنهج الوصفي: استعنت به في دراسة شواهد نداء المعاني، بتقديم صورة واضحة عنه. وهو الأنسب لهذا النوع من البحوث من حيث وصف الشاهد، وبيان منهجيته.

المنهج الاستقرائي: بتتبع ورود الآيات الكريمة في القرآن الكريم.

ويظهر هنا المزج بين المنهجين (الوصفي والاستقرائي) في الدراسة، بوصف الشاهد، ثمّ دراسة ما أضافه، لها والفروق بينها.

ولعلّ عملي المتواضع هذا يكون باكورة لأعمال مؤصلة تعنى بكشف النقاب عن جوانب دقيقة في أبواب النداء في العربية.

وجاء البحث في تمهيد تناولت فيه آراء العلماء في نداء المعاني في القرآن الكريم، ومبحثين:

المبحث الأول: نداء البشرى والأسف.

المبحث الثاني: نداء الويل والحسرة.

التمهيد:

النداء: هو طلبُ المتكَلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب «أنادي» المنقول من الخبر إلى الإنشاء، قال سيبويه:" اعلم أنّ النداء كلّ اسم مضاف فيه، فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره، والمفرد رفع وهو في موضع اسم منصوب"(١).

وعرَّفه صاحب الكلِّيَّات بقوله: "هُوَ إِحْضَار الْغَائِب، وتنبيه الْحَاضِر، وتوجيه المعرض، وتفريغ المشغول، وتهييج الفارغ."(٢)

وأكثرُ تناولِ النَّحويِّينَ لشواهِدِهِ كانَ عرضًا عندَ الحديثِ عن النَّكرةِ المقصودةِ وندائِها مُنوَّنةً وغيرَ مُنوَّنةٍ دونَ الخوضِ في غايتِهِ وضابطِهِ(٣).

أمّا غيرُ العاقلِ من المعاني (المصادرِ): وذلكَ كنداءِ الويلِ والعجبِ والحسرةِ وخلافِها ممَّا كثُرَ في لغةِ العربِ، فلم يرد في كتبِ النُّحاةِ إبرازٌ لهذا الصنفِ أو معالجةٍ، وكل ما عرضَ من شواهِدِهِ إنَّما كانَ ضمنِ إحدى قواعدِهِ المتعلِّقةِ بالإعرابِ أو حالِهِ عندَ الإضافةِ لياءِ المتكلِّمِ ولغاتِهِ دونَ المساسِ بصنفِهِ وصحَّةِ ندائِهِ وغرضِ ندائِهِ.

والحقُّ أنَّ كتبَ النَّحوِ –عندَ التَّناولِ– لم تفصلْ ذينِ الأخيرينِ، بل أجملت القولَ في نداءِ غيرِ العاقلِ، وسردتْ شواهدَهما من قرآنٍ أو نثرٍ أو شعرٍ على حدٍّ سواءٍ.

وقد أشارَ الشيخُ عضيمة رحمه الله لشواهدِ نداءِ المعاني القرآنيَّةِ مجموعةً دونَ النَّصِ على التَّسميةِ التي تُميِّزها عن الجماداتِ، فقالَ: "جاء في نداء غير العاقل كثيرًا في القرآن على سبيل المجاز، أو على أن يخلق

(١) الكتاب ٢:١٨٤، وانظر: المقتضب ٢/٢٢٥، والأصول ٣٢٩/١

(٢) الكليات ٩٠٦.

(٣) انظر: الكتاب ١٩٩/٢– ٢٠٣.

الله فيها ما به نفهم خطابه".[١]

وتحدّث كثيرٌ من البلاغيين عن نداء الجمادات، وما لا يعقل كالحيوان، وما لا يصحُّ نداؤه كالنفس وغير ذلك، وعدّوا ذلك من الانزياح، والسرُّ في هذا أنّ هذه الأشياء لا يصحُّ نداؤها؛ لأنّها لا تستجيب، فلما يناديها منشئ الكلام، لابدَّ أن يكون وراء ندائه هدفٌ آخر غير إرادة الإقبال، ففي الآية الكريمة: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾[٢] جاء النداء على حقيقته؛ لأن المُنادي هو الله ذو العظمة والجلال، فلا شيء من مخلوقاته يمتنع عن إجابته، فالجمادات والأحياء كلُّها مأمورة بأمره، ومسيرةٌ بمشيئته، لذا جاء النداء هنا على أروع ما يكون من الجمال والجلال والعظمة رُغم أنَّه على حقيقته، وسرُّ هذا الجمال، هو تصور هذه الأجرام العظيمة الراسية الصمَّاء وكأنها تسمع ما يقال، مما يبعث على الرهبة والاستكانة والخشوع، أمام هذا النداء الرباني العظيم، وهذا يقودنا إلى عظمة سبب النداء، وهو تسبيح الله . جل في علاه . إذ المراد من هذا النداء هو تحفيز مكامن التدبّر لدى الناس، وبعث مواطن التأمّل في خلق الله، وهو يخاطب الجبال والطير، والأرض والسماء، وكلَّ شيء في الوجود يسبّح.

فأصل النداء أن يكون لمن يعقل، فإذا تفلَّت النداءُ من ربقة المألوف، إلى فضاء رحب لطيف المسالك، دقيق المرامي؛ كيما ينسج منه بردة الجمال، وتصاغ منه قلادة الإبداع، فينادى ما لا يعقل، على سبيل المجاز، كقولهم: يا عجباً ويا حسرة[٣].

ونادوا الحسرة وإن كانت لا تجيب على طريق التعظيم، قال سيبويه: "

(١) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن القسم الأول ج٣/٦٢٨.

(٢) سورة سبأ آية ١٠.

(٣) البحر المحيط ٣: ٤٦٦.

وكأنّ الذي ينادي الحسرة أو السرور أو الويل يقول اقربي، أو احضري فهذا أوانك ... وهذا التعظيم على النفس والسامع هو المقصود أيضاً في نداء الجمادات: كقولك: يا دار، يا ربع، وفي نداء ما لا يعقل"[١].

كذلك نداء الويل هو على معنى احضري فهذا أوانك، وهذا هو الباب في نداء الحسرة والعجب والويل وما جرى مجراهم من نداء هذه الأمور التي لا تعقل وهي معان[٢].

ونداء البشرى، فقالوا: يا بشرى، ففيها معنى النداء فيما لا يعقل؛ لتنبيه المخاطب وتوكيد القصة فإذا قلت يا عجبا فكأنك قلت اعجبوا، فكأنه قال يا قوم أبشروا[٣].

وبعد، تتضح خصوصية النداء في لغة العرب، ومما يتميّز به من تعلّق الحرف بالاسم، فالنداء له أدواته الخاصة التي تميّزه، في بث كوامن النفس وإطلاقها مع امتداد الصوت؛ لتنبيه المخاطب لا كغيرها من الأدوات التي تنبه في اللغة، فهو لون من ألوان الخطاب، يأتي في الحاجة الملحة إلى لفت من يسمع وإيقاظه.

وسأسرد القول في نداء غير العاقل من المعاني، وذكر آراء العلماء فيه.

(١) الكتاب:١/٣٢٠.

(٢) المحرر الوجيز ٢/١٨٢.

(٣) البرهان ٣/٣٥٣.

المبحث الأول: نداء البشرى والأسف

وردت كلمة (بشر) وصيغها في القرآن الكريم في أربعة وثمانين موضعاً، وجاءت البشرى في الاستعمال القرآني بمعنى الإخبار بمعنى سارّ، ولم يأتِ نداء البشرى إلا في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ﴾ [يوسف آية ١٢].

قرأ الكوفيون (عاصم، وحمزة، والكسائي): {يا بُشْرَى}، بإرسال الياء وترك الإضافة، وقرأ الجمهور "يا بشرايَ" بياء مفتوحة بعد الألف، وأمال ألفَ فُعْلى حمزة والكسائي، وأمالها ورش بين بين على أصله، وعن أبي عمرو الوجهان، ولكن الأشهرَ عنه عدمُ الإمالة، وليس ذلك مِنْ أصله على ما قُرِّر في علم القراءات، وقرأ ورش عن نافع "يا بُشْرايْ" بسكون الياء، وهو جمعٌ بين ساكنين في الوصل(١).

وقرأ الجحدريّ وابن أبي إسحاق والحسن: "يا بُشْرَيَّ" بقلبِ الألفِ ياءً وإدغامها في ياء الإضافة وهي لغة هُذَلِيَّة، وهي لغة للعرب مشهورة، سمعت أهلَ السروات يقولون في دعائهم: يا سيدي ومَوْلَيَّ".(٢)

في سياقِ قصَّةِ يوسفَ عليه السَّلامُ العامرةِ بالأحداثِ والمفاجآتِ يُبهَمُ أمرُ السَّيارةِ والقومِ والواردِ لملء الحدثِ بالمفاجأةِ والاستبشارِ حينَ أُدلِيَ الدَّلوُ رجاءَ السَّقيِ فتشبثَ بهِ الغلامُ؛ فصرخَ صاحبُهم مُبشِّرًا الرّكبَ بأ وجزِ عبارةٍ مُفعَمةٍ بالفرحِ والحبورِ: يا بشرى هذا غلامٌ!

ولما أعقبَ حرفَ النِّداءِ ما لا يُجيبُ ولا يعقلُ اختلفَ مفسِّرو القرآنِ في توجيهِهِ ذلك: وَفِي تَفْسِيرِ النِّدَاءِ ثمَّةَ ثلاثةُ أوجهٍ:

---

(١) ينظر: السبعة ٣٤٧، وإعراب النحاس ٣١٩/٢، والحجة ٣٥٧، وإعراب مكي ٤٢٥/١، والتيسير ١٢٨، والمحرر ٢٦٦/٩، والنشر ٢٩٣.

(٢) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات ٣٣٦/١

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: أَنَّهَا كَلِمَةٌ تُقالُ عِنْدَ الْبِشَارَةِ كقَوْلِهِمْ: يَا عَجَبًا مِنْ كَذَا، ذكر الزَّجَّاجُ أنّ مَعْنَى النِّدَاءِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا تُجِيبُ ولا تعقِلُ تَنْبِيهُ الْمُخَاطَبِينَ وَتَوْكِيدُ الْقِصَّةِ، فَإِذَا قُلْتَ: يَا عَجَبَاهُ فَكَأَنَّكَ قُلْتَ اعْجَبُوايا أيها العجب هذا من حينك.

كذلك إذا قلت (يا بشرى) فكأنك قلت: يا أيّتها البشرى هذا من هذا وقتُ أوانِ أن تُنادَيْ ويُصاحَ بكِ. فهَذَا الْوَقْتُ وَقْتُكِ، وَلَوْ كُنْتِ مِمَّنْ يُخَاطَبُ لَخُوطِبْتِ الْآنَ وَلَأُمِرْتِ بِالْحُضُور[1].

وسبب البشارةِ: أنهم وجدوا غلاماً في غاية الحسن فقالوا: نَبيعهُ بثَمنٍ عظيم، ويصيرُ ذلك سبباً للغنى.

القول الثَّاني: أنَّ المنادَى محذوفٌ، تقديرُهُ: يا قومُ بُشْرَاكُم هذا غلامٌ [2].

الْقَوْلُ الثالث: ذَكَرَهُ السُّدِّيُّ أَنَّ الَّذِي أخرجَ الدَّلوَ نَادَى صَاحِبَهُ وَكَانَ اسْمَهُ بشرى، فَقَالَ: يَا بُشْرَى، كَمَا تَقُولُ: يَا زَيْدُ. وَعَنِ الْأَعْمَشِ أَنَّهُ قَالَ: دَعَا امْرَأَةً اسْمُهَا بُشْرَى[3]، واستبعدَهُ قومٌ [4].

---

(١) انظر: البرهان ٣٥٣/٣، تفسير مقاتل بن سليمان ٣٢٥/٢، جامع البيان ٢/١٥، معاني القرآن وإعرابه ٢٠٨/٣، تفسير القرآن العظيم للرازي ٢١١٣/٧، تفسير الماتريدي ٢٢٠/٦، مشكل إعراب القرآن ٣٨٠/١، غرائب التفسير ٥٣٠/١، مفاتيح الغيب ٤٣٣/١٨-٤٣٤، البحر المحيط ٢٥٢/٦.

(٢) انظر: غرائب التفسير ٥٣٠/١، روح المعاني ٣٩٤/٦.

(٣) روح المعاني ٣٩٤/٦.

(٤) تاريخ الطبري ٣٣٣/١- ٣٣٤، جامع البيان ١/١٥، ٢-٤، تفسير الرازي ٢١١٣/٧، تفسير الماتريدي ٢٢٠/٦، مشكل إعراب القرآن ٣٨٠/١، غرائب التفسير ٥٣٠/١، مفاتيح الغيب ٤٣٣/١٨-٤٣٤، البحر المحيط ٢٥٢/٦، الدر ٤٥٩/٦، روح المعاني ٣٩٤/٦.

وقد جمعَ الألوسيُّ بينَ هذهِ الأوجهِ كلِّها بقولِهِ: " يا بُشْرى هذا غُلامٌ نادى البشرى بشارةً لنفسِه أو لقومِه ورفقتِه، كأنَّه نزَّلها منزلةَ شخصٍ فناداه، فهو استعارةٌ مكنيَّةٌ وتخييليَّةٌ[١]، أي يا بشرى تعالَي فهذا أوانٌ حضورِك، وقيلَ: المنادى محذوفٌ كما في: يا ليت؛ أي: يا قومي انظروا واسمعوا بشراي، وقيلَ: إنَّ هذه الكلمةَ تستعملُ للتَّبشيرِ من غيرِ قصدٍ إلى النِّداءِ"[٢].

ويُقوِّي الوجهَ الأوَّلَ أمورٌ:

- وجودُ سَبَبٍ وجيهٍ للبِشَارَةِ؛ ذاكَ أَنَّهُمْ وَجَدُوا غُلَامًا فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَقَالُوا: نَبِيعُهُ بِثَمَنٍ عَظِيمٍ وَيَصِيرُ ذَلِكَ سَبَبًا لِحُصُولِ الْغِنَى[٣].
- دعمُ القراءةِ السَّبعيَّةِ الأخرى هذا المعنى؛ وهيَ قراءةُ (يَا بُشْرَايَ)[٤] على الإضافةِ إلى نفسِهِ؛ فكأنَّهُ بشَّرَ نفسَهُ؛ أي البُشرى لي بهذا الغلامِ[٥]. قال أبو حيان: "وقوله: يا بشراي هو على سبيل السرور والفرح بيوسف، هذا

---

١ الاستعارة الكنية في مذهب جمهرة علماء البيان هي: لفظ المشبه به المستعار في النفس للمشبه، والمحذوف المدلول عليه بذكر شيء من لوازمه وخواصه. ينظر: الكليات :١٠٢.

الاستعارة التمثيلية تطلق على ما كان وجه الشبه مركباً محققا أولا، وهو مذهب الجمهور، أو ما كان وجهه مركباً غير محقق لا حساً ولا عقلاً، وهو مذهب السكاكي. ينظر: الكليات :٢٩٥

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس ١٩٦/٢، البحر المحيط ٢٥٢/٦، روح المعاني ٣٩٤/٦.

(٣) مفاتيح الغيب ٤٣٣/١٨-٤٣٤.

(٤) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر، الحجة لابن خالويه ١٩٤، الحجة للفارسي ٤١٠/٤.

(٥) تفسير الماتريدي ٢٢٠/٦.

رأى أحسن ما خلق "[1].

- أنَّهُ لم يأتِ في القرآنِ التَّصريحُ بتسميةِ أحدٍ إلّا يسيرًا، وإنَّما يأتي بالكنايةِ كما في قولِهِ جلَّ وعزّ: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ [الفرقان: ٢٧] وهوَ عقبةُ بنُ أبي معيطٍ، وبعده ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٨] وهوَ أميَّةُ بنُ خلفٍ[2].

وجاء في إعراب "يا بشرى" وجهان:

- قراءة الكوفيين بغير ياء الإضافة على فعلى أن بشرى نكرة هاهنا، فناداها كما تنادى النكرات، نحو قولك: يا رجلاً، ويا راكباً، إذا جعلت النداء شائعاً فيكون موضعها نصباً مع التنوين.
- ويمكن أن يكون بشرى منادى يعرف بالقصد، نحو يا رجلُ، يريد نادى المستقي رجلاً من أصحابه اسمه بشرى، فتكون بشرى في موضع رفع.

واسم الإشارة عائد إلى ذات يوسف عليه السّلام؛ خاطب الواردُ بقية السيّارة، ولم يكونوا يرون ذات يوسف عليه السّلام حين أصعده الوارد من الجب، إذ لو كانوا يرونه لما كانت فائدة لتعريفهم بأنه غلام إذ المشاهدة كافية عن الإعلام، فتعيّن أيضاً أنهم لم يكونوا مشاهدين شبح يوسف عليه السّلام حين ظهر من الجب، فالظاهر أن اسم الإشارة في مثل هذا المقام لا يقصد به الدلالة على ذات معيّنة مرئية بل يقصد به إشعار السامع بأنه قد حصَل شيءٌ فرح به غير مترقب، كما يقول الصائد لرفاقه: هذا غزال وكما يقول الغائص: هذه صدفة أو لؤلؤة ويقول الحافر للبئر: هذا الماء قال النابغة يصف الصائد وكلابه وفرسه:

---

(١) البحر المحيط ٦/٢٥٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٩٦.

يقــول راكبُهــا الجنــيّ، مرتفقــاً هذا لكُنّ، ولحمُ الشاةِ محجورُ[١]

وكان الغائصون إذا وجدوا لؤلؤة يصيحون. قال النابغة:

أو درّةٍ صـــــدفيّةٍ، غوّاصُـــــها بهِجٌ، متى يَرها يُهلّ ويسجُدِ[٢]

والمعنى: وجدت في البئر غلاماً، فهو لقطة، فيكون عبداً لمن التقطه. وذلك سبب ابتهاجه بقوله: {يا بشراي هذا غلام }[٣].

نداء الأسف:

وقع نداء الأسف في آية واحدة من القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [يوسف: ٨٤].

قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (يَا أَسَفي) بالإمالة، ورُوي عن أبي عمرٍو: الفتحُ والإمالةُ بينَ بينَ، ووقفَ رويسٌ راوي يعقوبَ بخلافٍ عنه: (يَا أَسَفَاهُ) بزيادةِ هاءٍ بعدَ الألف[٤].

والأصل: يا أسفي فأبدل من الياء ألف لخفة الفتحة[٥]؛ لأنّ الصوت معها أتمّ، والألف بدل من ياء المتكلم، قال الزجاج: "الأصل يا أسفي، إلا أنّ ياء الإضافة يجوز أن تبدل ألفاً؛ لخفة الألف والفتحة".[٦]

وفي معنى الأسف قولان، أحدهما: أشدّ الحزن على ما فات، نقل عن

---

(١) من قصيدة مطلعها : ودع أمامة، والتوديع تعذيرُ وما وَداعك من قفّت به العير. ديوان النابغة الذبياني:٨٦.

(٢) من قصيدة مطلعها: أمن آل ميّة رائح ومغتد عجلان ذا زاد وغير مزوَّد. ديوان النابغة الذبياني:٧١.

(٣) مفاتيح الغيب ٤٣٣/٨-٤٣٤.

(٤) النشر في القراءات العشر ٢٩٦/٢، وفتح الرحمن في تفسير القرآن ٤٥٢/٣.

(٥) انظر: إعراب النحاس ٢/ ٣٤٢ تفسير القرطبي ٢٤٨/٩.

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ١٢٥.

ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: قوله: (وتولى عنهم وقال يا أسفَا على يوسف) يقول: يا حزني على يوسف[١].

قال الطبري: "يعني تعالى ذكره، بقوله (وقال يا أسفا على يوسف) يعني: يا حَزَنا عليه[٢]."

والآخر: بمعنى الجزع، ذكر عن مجاهد قال: (يا أسفا على يوسف) يا جَزَعاه حزنًا"[٣].

قال أبو جعفر النحاس:" قال يا أسفا على يوسف" (آية ٨٤) قال ابن عباس أي يا حزنا، وقال مجاهد أي يا جزعا".[٤]

وهي صورة مؤثرة للوالد المكلوم، المنفرد بهمّه، وبمصابه، لا تشاركه قلوب من حوله ولا تجاوبه، فينفرد في معزل، يذكر فجيعته في ولده يوسف، إذ لم ينسه، ولم تهون من مصيبته السنون، والذي تذكره به نكبته الجديدة في أخيه الأصغر فتغلبه على صبره الجميل.

وللعلماء في شدة الحزن ثلاثة أقوال:

منها أن يعقوب صلى الله عليه وسلم لما علم أن يوسف عليه السلام حيّ خاف على دينه فاشتدّ حزنه لذلك، وقيل: إنّ حزنه لأنّه سلمه إليهم وهو صبيّ فندم على ذلك، والثالث: أنّ الحزن ليس محظوراً، إنما المحظور الولولة...[٥]

(١) انظر: جامع البيان ١٦/ ٢١٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق

(٤) معاني القرآن ٤٥٢/٣

(٥) إعراب النحاس ٣٤٢/٢

وفي توجيه العلماء لنداء الأسف في الآية الكريمة قولان:

الأول: أنّه أراد به الدعاء، وتقديره يا ربّ ارحم أسفي على يوسف[١]، فالمعنى على إضمار الدعاء؛ لأنّه أراد به الشكوى إلى الله تعالى، ولم يرد به الشكوى منه راغباً إلى الله تعالى في كشف بلائه.

ذكر ابن الأنباري عن بعض اللغويين أنه قال: "نداء يعقوب بالأسف في اللفظ من المجاز يعني به غير المظهر في اللفظ وتلخيصه: يا إلهي ارحم أسفي، أو أنت رائي أسفي أو هذا أسفي فنادى الأسف في اللفظ والمنادى سواه في المعنى، ولا مأثم إذ لم ينطلق اللسان بكلام مؤثم؛ لأنّه لم يشك إلا إلى ربّه عزّ وجلّ فلما كان قوله "يا أسفاً على يوسف" شكوى إلى ربه كان غير ملوم في شكواه، وقيل إن يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت محنته قال يا أسفا على يوسف أي أشكو إلى الله شدة أسفي على يوسف ولم يشكه إلى أحد من الخلق". [٢]

الثاني: النداء على معنى تعال يا أسف فإنّه من أوقاتك [٣]، ونداؤه على سبيل المجاز، كأنه قال: تعال فهذا أوانك.

ونداء الأسف مجاز، نزّل الأسف منزلة من يعقل فيقول له: احضر فهذا أوان حضورك، وأضاف الأسف إلى ضمير نفسه؛ لأنّ هذا الأسف جزئي مختصّ به من بين جزئيات جنس الأسف.

ذكر هذا الرأي جملة من العلماء كالزجاج والزمخشري وأبي حيان والسمين الحلبي وغيرهم.[٤]

---

(١) تفسير الماوردي ٦٩/٣

(٢) تفسير الخازن ٣٠٨/٣.

(٣) انظر: إعراب النحاس ٢/ ٣٤٢ تفسير القرطبي ٢٤٨/٩.

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ١٢٥، الدر المصون ٥٤٥/٦.

قال الزَّجَّاج – رحمه الله تعالى –: "هذا النِّدَاءُ ينبِّهُ الناس على ما سيحصل لهم من الحَسْرَةِ، والعربُ تعبر عن تعظيم أمثال هذه الأمور باللَّفظَةِ كقوله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠] ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٦] ﴿ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ ﴾ [هود: ٧٢] و ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ [يوسف: ٨٤] والمعنى: يا أيها النَّاس تَنَبَّهُوا على ما وَقَعَ من الأسَفِ، فوقع النداءُ على غير المنادى في الحقيقة".

فمَعْنَى الْمُنَادَاةِ لِلْأَسَفِ طَلَبُ حُضُورِهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: تَعَالَ يَا أَسَفِي وَأَقْبِلْ إِلَيَّ.[1]

وقد جاء في إعراب {يا أَسَفَا} أوجه:

- منادى مضاف منصوب بالفتحة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم، فالألف منقلبة عن ياء المتكلم، وإنَّما قلبت ألفاً؛ لأنَّ الصَّوت معها أتم، ونداؤه كما سبق على سبيل المجازِ، كأنَّه قال: هذا أوانُك فاحضر كما سبق ذكره، ذكر هذا الوجه أبو حيّان والسمين الحلبي.[2]
- خرج مخرج النّدبة، قيل هذه ألف الندبة، وحذفت هاء السَّكت وصلاً، وإذا وقفت عندها قلت: يا أسفاه، فإذا اتصلت ذهبت الياء، كما قالوا: يا راكبا إمّا عرضت فبلّغن.[3] قال أبو عبيدة: "(فيا راكبا) بغير تنوين؛ والمعنى: فيا راكباه، فحذف الهاء، كما حذفت من قوله عز وجل: (يا أسفا على

(١) فتح القدير ٥٧/٣.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٢٥٢/٦، و الدرّ المصون ٥٤٥/٦.

(٣) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣١٦/١، تفسير القرطبي ٢٤٨/٩، الدرّ المصون ٥٤٥/٦.

يوسف)".[١]

والمعوّل عليه الأول.

- وجوز في آخر المنادى المندوب ثلاثة أوجه[٢]:
  - أن يختم بألف زائدة لتوكيد التفجع والتوجع، نحو:(واكبدا)
  - يختم بألف زائدة، وهاء السكت، نحو: (واأسفاه)
  - أن يبقى على حاله دون تغيير.
  - وإذا كان المندوب مضافاً لياء المتكلم جاز حذف الياء وإضافة ألف الندبة، وجاز قلب الياء ألفا.

وقد ارتبط النداء بالأسف كثيراً في لغة العرب، ومنه قول كثيّر:

فيا أسفا للقلب كيف انصرافُه وللنفس لما سليت فتسلّتِ[٣]

وقول حسان بن ثابت يرثي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فيا أسفا ما وارت الأرض واستوت عليه وما تحت السلام المنضّد[٤]

والأسف اشدّ الحزن والحسرة، وإنما تأسف على يوسف دون أخويه، والحادث إنما هو مصيبتهما؛ لأنّ مصيبته كانت قاعدة المصائب، والحزن القديم إذا صادفه حزن آخر كان ذلك أوجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن الأوّل.

وإنما ذكر القرآن تحسّره على يوسف عليه السلام ولم يذكر تحسره على ابنيه الآخرين؛ لأنّ ذلك التحسّر هو الذي يتعلق بهذه القصة فلا يقتضي ذكرُه أن يعقوب عليه السلام لم يتحسّر قط إلاّ على يوسف، مع

---

(١) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣/١، سفر السعادة ٣٥٩/١.

(٢) همع الهوامع ٤٩/٢.

(٣) ديوان كثير عزة في ديوانه ص١٠٣

(٤) لم يرد في ديوانه، وانظر: تفسير القرطبي ٢٤٨/٩، فتح القدير ٥٧/٣.

أنّ الواو لا تفيد ترتيب الجمل المعطوفة بها.[1]

ويُقوِّي الوجهَ الأوَّلَ أمورٌ:

- وجودُ سَبَبٍ وجيهٍ للأسف، وإنما عظم حزنهُ على مُفارقةِ يوسف عند هذه الواقعة لوجوه:

الأول: أنَّ الحزن القديم الكامل إذا وقع عليه حزن آخر كان أوجع، قال متمّم بن نويرة[2]:

فَقَالَ أتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رأيتَهُ لِمَيْتٍ ثَوَى بَيْنَ اللِّوى والدَّكَادِكَ

فقُلْتُ لَهُ: إنَّ الأسَى يَبْعَثُ فَدَعْنِي فَهذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

وذلك؛ لأنه كلما رأى قبراً تجدَّد عليه حزنه على أخيه مالك، فلاموهُ؛ فأجاب: إنَّ الأسى يبعث الأسى.

الثاني: أنَّ بنيامين، ويوسف كانا من أمٍّ واحدة، وكانت المشابهة بينهما في الصِّفة متقاربة، فكان يعقوب عليه الصلاة والسلام يتسلّى برؤيته عن رؤية يوسف عليه السلام، فلما وقع ما وقع، زال ما يوجبُ السَّلوة، فعظم الألم.

الثالث: أنَّ المصيبة بيوسف كانت أصل مصائبه الَّتي عليها ترتب سائر المصائب، فكان الأسفُ عليه أسفاً على الكُلِّ.

الرابع: أنَّ هذه المصائب كانت أسبابها جارية مجرى الأمور المعلومةِ، فلم يبحث عنها يوسف صلوات الله وسلامه عليه فهو عليه السلام

---

(١) تفسير القرطبي ٢٤٨/٩.

(٢) ديوان متمم بن نويرة: ٣٣٤، الأبيات وردت في حماسة أبي تمام ٣٣٤/١، وقد ذكر أبو عليّ القالي في الأمالي ١/٢ : "قدم متمم بن نويرة العراق، فأقبل لا يرى قبرا إلا بكى عليه، فقيل له: يموت أخوك بالملا، وتبكي أنت على قبر بالعراق ، فقال تلك الأبيات...

كان يعلمُ كذبهم في السَّببِ الذي ذكروه، وأما السَّببُ الحقيقي، فلم يعلمه.

الخامس: أنه عليه الصلاة والسلام كان يعلم حياة هؤلاء، وأمَّا يوسف فما كان يعلم أنَّه حي، أو ميت، فلهذه الأسباب عظم حزنه على مفارقته.

السادس: أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم يعط الأنبياء قبلهم ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾[البقرة: ١٥٦]، ولو أعطيها الأنبياء لأعطيها يعقوب؛ إذ يقول: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾:[١] .

ومما خصت به هذه الأمة بالاسترجاع، وإنما تأسف على يوسف مع أن الحادثَ مصيبةٌ أخويه؛ لأن رُزْأَه كان قاعدةَ الأرزاءِ غضاً عنده وإن تقادم عهده آخذاً بمجامع قلبه لا ينساه ولأنه كان واثقاً بحياتهما عالماً بمكانهما طامعاً في إيابهما، وأما يوسفُ فلم يكن في شأنه ما يحرك سلسلةَ رجائِه سوى رحمةِ الله وفضلِه.[٢]

فنداء الأسف مخبوءٌ تحتَه دلائلُ نحويةٌ، يقودُ البحثَ إلى التغلغلِ في مكنونِه والنفاذِ إلى أبعادِه، لا كغيرِه من المفرداتِ المغمورةِ ذاتِ المضامينِ اللغويةِ في دَفَّتَي الكتب للقراءةِ العجِلةِ، إذ تكمن فيه أغراضٌ ومقاصدُ ينتجُ عنه بناءٌ لغويٌّ ذو ثَراءٍ وصَقْلٍ بيانيٍّ.

(١) تفسير القرطبي ٢٤٨/٩، فتح القدير ٥٧/٣، الدر المصون ٥٤٥/٦.

(٢) تفسير القرطبي ٢٤٨/٩، فتح القدير ٥٧/٣.

المبحث الثاني

نداء الويل والحسرة

نداء الويل:

وقعَ نداءُ الويلِ في القرآنِ الكريمِ في آيات، يجمعها معنًى عامٌّ واحدٌ، وهي بألفاظٍ ثلاثةٍ: (يا ويلتى، يا ويلنا، يا ويلتنا)، وسردُها – مرتَّبةً وفقَ ورودُها في القرآنِ – كما يأتي:

- ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ ﴾ [المائدة: ٣١].
- ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ ﴾ [هود: ٧٢].
- ﴿ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ﴾ [الكهف:٤٩].
- ﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ١٤ ﴾ [الأنبياء: ١٤].
- ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ ﴾ [الفرقان: ٢٨].
- ﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ٣١ ﴾ [القلم: ٣١].
- ﴿ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ﴾ [يس:٥٢].

الويلُ: كلمةُ عذابٍ تُقالُ عندَ الهلكةِ، وقيلَ: هو وادٍ في جهنمَ، وهذا غيرُ خارجٍ من مذاهبِ أهلِ اللغةِ؛ لأنَّ من وقعَ في ذلك فقد وقعَ في الهلكةِ[1]، وهي كلمةٌ جامعةٌ للشرِّ كلِّهِ.

وعن الأصمعيِّ: هي تقبيحٌ، ومنه قولُهُ تعالى: وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ١٦٨، حروف المعاني والصفات ١٧، لسان العرب (ويل).

[الأنبياء: ١٨] ولذا تقولُ العربُ: له الويلُ؛ أي له القبحُ والشرُّ. وربما قالتها الْعَرَبُ تعجُّبًا واستنكارًا، كما في نحوِ: وَيْلُ أُمِّهِ رَجُلًا مَا أَرْجَلَهُ. (١)

وقد ارتبطَ الويلُ بالنِّداءِ كثيرًا في لغةِ العربِ؛ إذ هيَ كلمةٌ تخفُّ على الألسنةِ عندَ الأمرِ العجيبِ، وكانَ لكلامِ اللهِ تعالى منه نصيبٌ كما في السَّردِ أعلاه، فنُودِي – وهو ممَّا لَا يَعْقِلُ – عَلَى خلافٍ في توجيهِهِ عند العلماء:

- أَنَّهُ نداءٌ على سَبِيلِ الْمَجَازِ، وأصلُ هذا الدعاءِ بالويلِ ونحوِهِ في الشَّرِّ عندَ التَّفجُّعِ لشدَّةٍ أو مكروهٍ أو هلكةٍ، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ التَّعَجُّبُ والتَّعبيرُ عمَّا دهمَ النَّفسَ من الاستنكارِ دونَ إرادةِ الدُّعاءِ على النَّفسِ، كَأَنَّهُ قَالَ: انْظُرُوا لِهَذَا الْعَجَبِ وَتَنَبَّهُوا لِهَذِهِ الْهَلَكَةِ.

وَتَأْوِيلُهُ: هَذَا أوانك فاحضري، وذلك لغايةِ التّحسُّرِ والتّفجعِ(٢)، فإذا قيلَ: يَا ويلتاه، فَإِنَّمَا يَعْنِي: يَا فَضيحتاه ويا هلكتاه. (٣)

وعليه فكلُّ ما وقعَ في لغةِ العربِ من نداءِ الويلِ إنَّما هو لتنبيهِ المخاطبينَ اجتهادًا في الإخبارِ عن عظيمٍ يُوقَعُ فيهِ، وبيانِ أنَّ الوقتَ الذي يُدعى له الويلُ هو وقتُهُ، ومعنى (يا ويلتى/ ويلنا/ ويلتنا) هلمِّي وأقبلي، فإنَّهُ من إبَّانِك وقد لزمني الويلُ. وهو أبلغُ في التَّعبيرِ من الإخبارِ بالويلِ، حينَ يقولُ: الويلُ لي. (٤)

---

(١) انظر: جامع البيان ١٨/ ٣٨.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن١٩٦/١، البحر المحيط٢٣٥/٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري٢/ ٢٩٣، زاد المسير٣٨٧/٢، الجامع لأحكام القرآن١٤٥/٦، ٩/ ٦٩، ٣/ ١٤١، أنوار التنزيل ٢٨٤/٣، البحر المحيط ١٨٣/٦، البرهان ٣٢٥/٢.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ١٦٨، ٢/ ٢٤١، إعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٦٦، المحرر الوجيز ٢/ ١٨٢، التبيان في إعراب القرآن ٤٣٣/١، الدر المصون ٤/ ٢٤٥.

- أنَّ «وَيْ» كلمةٌ برأسِها. و «لنا» جارٌّ ومجرور، نُقِلَ عنِ الكوفيينَ. ورُدَّ بأنَّهُ لا معنى لهذا إلاَّ بتأويلٍ بعيدٍ؛ هو أَنْ يكونَ يا عجبُ لنا؛ لأنَّ وي تُفَسَّرُ بمعنى اعجب منا. (١)

وقد جاء في إعرابها وجهانِ: (٢)

- منادى مضافٌ للضَّميرِ بعدَهُ حكمُهُ النَّصبُ.
- مصدرٌ منصوبٌ، والمنادى محذوفٌ كأنَّهم قالوا: يا قومنا ويلنا.

والذي يبدو لي أنَّ كلَّ ما وردَ في القرآنِ الكريمِ أو غيرِهِ من شواهدِ العربيَّة من (يا ويلتى/ ويلنا/ ويلتنا) إنَّما هو نداءُ على الأصلِ لأمورٍ:

- يُحكَمُ على ظاهرِ لفظِهِ، ولا يُصرَفُ عنهُ إلا لقرينةٍ مانعةٍ أو سببٍ موجِبٍ.
- وجهُ ندائِه وهو لا يعقلُ محمولٌ على نظيرِهِ الواردِ كثيرًا في لغةِ العربِ، كنداءِ الجبلِ والبيتِ والشجرِ وسواها.
- استحضارُ الويلِ في النِّداءِ أبلغُ من نداءِ القومِ وغيرِهِ ممَّا يُقدَّرُ، فهو أشدُّ وقعًا على النَّفسِ حين تجسيدِهِ في صورةِ الذي يستجيبُ فيحضرُ.
- مراعاةُ السِّياقِ الذي وردَ فيهِ الويلُ، إذِ ارتبطَ بالتَّحسُّرِ والنَّدامةِ، ونداءُ الويلِ بهِ ألصقُ وبغايتِهِ أحقُّ.

نداء الحسرة

ورد نداء الحسرة في القرآن في ثلاث مواضع، موضع مضاف (ياحسرتنا)، وموضعان بغير الإضافة (ياحسرتا، ياحسرة) وسردها مرتبة وفق ورودها في القرآن الكريم كما يأتي:

(١) انظر: الدر المصون ٩/ ١٧٥.

(٢) انظر: التبيان في إعراب القرآن٤/ ٤٥٧.

- ﴿ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا ﴾ [الأنعام: ٣١].
- ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يس: ٣٠].
- ﴿ أَن تَقُولَ نَفۡسٌ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٦].

هذا التلوّن في نداء الحسرة مضافة وغير مضافة يظهر لنا مفارقات دلاليّة، فالحسر في أصله اللغوي: كشف الملبس عما عليه[١]، والحسرة: الغمّ على ما فات، والندم عليه، كأنّه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه، أو انحسر قواه من فرط غمّ، أو أدركه إعياء من تدارك ما فرط منه، فهي الغاية من الندامة، إذا انتهت الندامة غايتها يقال: حسرة.[٢]

وهي فَعْلة من حسِر يحْسَر حَسْراً، من باب فرح، ويقال: تحسّر تحسّراً. قَالَ الزَّجَّاجُ: "الْحَسْرَةُ أَمْرٌ يَرْكَبُ الْإِنْسَانَ مِنْ كَثْرَةِ النَّدَمِ عَلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ حَتَّى يَبْقَى حَسِيرًا" [٣].

والعرب يعاملون اسم المرّة معاملة مطلق المصدر غير ملاحظين فيه معنى المرّة، ولكنّهم يلاحظون المصدر في ضمن فرد، كمدلول لام الحقيقة، ولذلك يحسن هذا الاعتبار في مقام النداء؛ لأنّ المصدر اسم للحاصل بالفعل بخلاف اسم المرّة فهو اسم لفرد من أفراد المصدر فيقوم مقام الماهية[٤].

---

(١) مفردات الراغب ١١٨

(٢) المصدر السابق.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/٢١٤

(٤) التحرير والتنوير ٨ /١٣٥

وقد وجّه العلماء نداء مالا يعقل في الآية الكريمة (يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا) [الأنعام: ٣١] بما يأتي:

الأول: أن المنادى هو الحسرة نفسها، على معنى هَذَا أوانك فاحضري[١]، قال سيبويه: "هَذَا على وَجه النداء، كَأَنَّهُ يَقُول: أيتها الْحَسْرَة هَذَا أوانك وأيها الْعجب جَاءَ أوانك[٢]".

فهو في أصل الوضع نداء للحسرة بتنزيلها منزلة شخص يسمع ويُنادي ليحضُر[٣]؛ لأن الحَسْرَةَ لا يتأتى منها الإقْبَالُ، وإنَّما المعنى على المُبَالغَةِ في شِدَّةِ التَّحَسُّرِ، وكأنهم نادوا التحسُّر، وقالوا: إن كان لك وَقْتٌ، فهذا أوانُ حضورك.[٤]

الثاني: أنّ المراد بها تنبيه المخاطبين، وهو قول الزجاج[٥]، والقرطبي[٦]، وغيرهم... قال:" فإن قيل: ما معنى دعاء الحسرة، وهي لا تعقِلُ؟ فالجواب: أن العرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن عظيم ما تقع فيه، جعلته نداءً، فلفظه لفظ ما ينبّه، والمنبّه غيره، مثل قوله عزّ وجل (ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله) فهو أبلغ من أن تقول: أنا حسر على العباد، وأبلغ من أن تقول الحسرة علينا في تفريطنا وقد علم أن الحسرة لا تدعى، فوقع التنبيه للمخاطبين، فتدخِلُ عليه «يا» للتنبيه، والمراد تنبيه الناس، لا تنبيه المنادى. ومثله قولهم: لا أرينّك ها هنا. لفظه لفظ

(١) التبيان للعكبري ٤٩٠/١
(٢) الكتاب ٣٢٠/١
(٣) التبيان في إعراب القرآن ٤٩٠/١
(٤) التحرير والتنوير ٨/ ١٣٥
(٥) معاني القرآن للزجاج ٢١٤/٢
(٦) ينظر: جامع القرطبي ٢٧١/١٥.

الناهي لنفسه، والمعنى للمنهي ومن هذا قولهم: يا خَيْلَ الله اركبي، يراد: يا فرسان خيل الله".(١)

والمتحسِّر في الآية الكريمة أهل النار، وأضافوا الحسرة إلى أنفسهم؛ ليكون تحسّرهم لأجل أنفسهم، فهم المتحسّرون والمتحسَّر عليهم، بخلاف قول القائل: يا حسرة، فإنّه في الغالب تحسّر لأجل غيره فهو يتحسّر لحال غيره؛ ولذلك تجيء معه على التي تدخل على الشيء المتحسّر من أجله داخلة على ما يدلّ على غير التحسّر، كقوله تعالى: ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ ﴾ فأمّا مع (يا حسرتي، أو يا حسرتا) فإنّما تجيء (على داخلة على الأمر الذي كان سبباً في التحسّر كما هنا على ما فرطنا فيها.(٢)

قال الطبري:" وُكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم منازلهم من الجنة بمنازل من اشتروا منازله من أهل الجنة من النار، فإذا جاءتهم الساعة بغتةً قالوا إذا عاينوا ما باعوا وما اشتروا، وتبيَّنوا خسارة صفقة بَيْعهم التي سلفت منهم في الدنيا، تندُّمًا وتلهُّفًا على عظيم الغَبْن الذي غبنوه أنفسهم، وجليلِ الخسران الذي لا خسرانَ أجلَّ منه "يا حسرتنا على ما فرطنا فيها"، يقول: يا ندامتنا على ما ضيّعنا فيها... (٣) "

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠ ﴾ [يس: ٣٠]

- قَرَأَ أُبَيٌّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، وَالضَّحَّاكُ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ:

(١) معاني القرآن للزجاج ٢/٢١٤.

(٢) التحرير والتنوير ٨ / ١٣٥.

(٣) جامع البيان ٢١/٣١٢.

﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ ﴾ عَلَى الْإِضَافَةِ[1].

- قَرَأَ أَبُو الزِّنَادِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذَكْوَانَ الْمَدَنِيُّ، وَابْنُ هُرْمُزَ، وَابْنُ جُنْدُبٍ: ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ ﴾ بِسُكُونِ الْهَاءِ فِي الْحَالَيْنِ حَمَلَ فِيهِ الْوَصْلَ عَلَى الْوَقْفِ، وَوَقَفُوا عَلَى الْهَاءِ مُبَالَغَةً فِي التَّحَسُّرِ، لِمَا فِي الْهَاءِ مِنَ التَّأَوُّهِ...[2].

قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ: "يا حسرة على العباد بِغَيْرِ تَنْوِينٍ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، انْتَهَى، وَوَجْهُهُ أَنَّهُ اجْتَزَأَ بِالْفَتْحَةِ عَنِ الْأَلِفُ الَّتِي هِيَ بَدَلٌ مِنْ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ فِي النِّدَاءِ، كَمَا اجْتَزَأَ بِالْكَسْرَةِ عَنِ الْيَاءِ فيه، وقد قرىء: يَا حَسْرَتَا، بِالْأَلِفِ، أَيْ يَا حَسْرَتِي"[3]. قال النحاس: "... يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ من أصعب ما في القرآن من المسائل...لأنّ السؤال فيه أن يقال: ما الفائدة في نداء الحسرة؟"[4].

واختلف في المنادى في هذه الآية الكريمة على قولين:

- القول الأوّل: أن النداء للحسرة، على معنى أنّ هذا وقتك فتعالي واحضري، وهو قول الزجّاج وأبي بكر، وسيبويه[5]، ومعنى دُعَاءِ الحَسْرَةِ، وَهِيَ لاَ تعقل ولا تجيب؟ فالجواب عن ذلك أن العربَ إذا اجْتَهدتْ في الإخْبارِ عنْ عَظِيم تقع فيه جعلته نداءً، فلفظه لفظ ما ينبَّه، والمنبَّه غَيرُهُ. مثل قَوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر ٣٥٤/٢.
(٢) المحتسب ٣٠٨/٢.
(٣) إعراب ثلاثين سورة من القرآن ٨٤
(٤) إعراب القرآن، نحاس ٢٦٤/٣.
(٥) ينظر: معاني الزجاج ٢٤١/٢، الكتاب ٢٢٤/٤.

فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾. وقولـــه: ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ ﴾، وقولـــه: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا ﴾.

- فهذا أبلغ من أن تقول: أنا حَسِرٌ عَلَى العباد، وأبلغ من أن تقول: الحسرة علينا في تفريطنا".(١)

قال سيبويه: " إنَّكَ إذا قلت يا عجباه، فكأنك قلت احضُرْ وتعال يا عجبُ فإنه مِنْ أزمَانِكَ، وتأويل " يا حَسْرتَاهُ " انتَبهُوا على أننا قد خسرنا " وهذا مثله في الكلام في أنك أدْخَلْتَ عليه يا للتنبيه، وأنت تريد الناس قولك: لَا أرينَّكَ هَهنَا، فلفظُك لفْظُ النَاهِي نفسه، ولكنه لمَا علم أن الإنسان لا يحتاج أن يلفظ بنهي نَفْسِه دَخل المخَاطَبُ في النَهيِ فصار المعنى: لا تكونَنَّ ههنا(٢)". فاستهزاء الْعباد بالرُّسل صَار حَسْرةً عَلَيْهِم، فنُوديت تِلْكَ الحسرةُ تَنْبِيها للمُتحسِّرين، فالمَعْنى: يَا حسرةً على الْعباد، أَيْن أَنْت فَهَذَا أوانك، وَكَذَلِكَ مَا أشبهه.

وإنما نَادَى الْحَسْرَة ليتحسّر بهَا من خَالف الرُّسُل وَكفر بهم وَالْمرَاد بندائها تحسر الْمُرْسل اليهم بهَا فمعناها تعالي يَا حسرة فَهَذَا أوانك وإبانك الَّذِي يجب أَن تحضري فِيهِ ليتحسّر بك من كفر بالرسّل".(٣)

- القول الثاني: الْمُنَادَى مَحْذُوفٌ، وَانْتُصِبَ حَسْرَةً عَلَى الْمَصْدَرِ، أَيْ يَا هَؤُلَاءِ تَحَسَّرُوا حَسْرَةً. (٤) و"يا" للتلهف والتأسف.
- القول الثالث: وضع النداء موضع التعجب: كقوله تعالى يا حسرة على

(١) انظر: معاني الفراء ٤٢٢/٢، ومعاني الزجاج ٢٤١/٢، وإعراب النحاس ٢٦٤/٣.
(٢) الكتاب ٢٢٤/٤.
(٣) مشكل إعراب القرآن ٦٠٢/٢.
(٤) البحر المحيط ٤٨٢/٤.

العباد، قال الفراء:" معناه فيا لها من حسرة".[١]

وجاء في إعرابها:

فـ{يَا حسرة} نِدَاء نكرة موصوفة، قال الفراء: "والعرب إذا نادت نكرة موصولة بشيء آثرت النصب، يقولون: يا رجلاً كريمًا أقبل، ويا راكبًا على البعير أقبل"

نصبه كنصب نداء النكرة. و"حَسْرَةً" نصب؛ لأنه نداء شبه بالمضاف فإنّ "على" متعلق به[٢].

الآية الثالثة: قوله جل وعز ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٦].

قرأ الجمهور: يا حسرتا، بإبدال ياء المتكلّم ألفاً. وعن ابن كثير "يا حَسْرَتاهْ" بهاءِ السكت وَقْفاً، وأبو جعفر "يا حَسْرَتي" على الأصل. وعنه أيضاً "يا حَسْرتاي" بالألفِ والياء[٣].

الألف في قوله (يَا حَسْرَتَا) هي كناية المتكلم، وإنما أريد: يا حسرتي، لكن العرب تحوّل الياء في كناية اسم المتكلم في الاستغاثة ألفاً، فتقول: يا ويلتا، ويا ندما، فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء، وربما قيل: يا حسرة على العباد، كما قيل: يا لهف، ويا لهفا عليه.[٤]

ومنهم قال الأصل يا حسرتاه ثم أسقطوا الهاء تخفيفا ولهذا قرأ عاصم يا أسفاه على يوسف.

---

(١) ينظر: معاني الفراء ٤٢٢/٢.

(٢) ينظر: معاني الزجاج ٢٤١/٢، وإعراب النحاس ٢٦٤/٣

(٣) ينظر: النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٦٢، ومشكل إعراب القرآن ٦٣٢/٢

(٤) جامع البيان ٣١٢/٢١

والأَصل في (حسرتا): يا حسرتي، ثم أبدل من الياء ألف [١]. والمعنى افعلوا هذا خوف أن تقول نفس وكراهة أن تقول نفس يا حسرتا والحسرة الندامة أي يلحق الإنسان ما يصير معه حسيرا أي معيبا وحرف النداء يدل على أنه شيء لازم أي يا حسرة هذا وقتك.

والفائدة في نداء الحسرة أنّ حرف النداء يدلّ على تمكن القصة من صاحبها وملازمتها له. فذلك أبلغ في الخبر [٢].

والمعنى: اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن تصيروا إلى حال الندامة غدا.

ومعنى (عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ) أي: على ما ضيّعته من العمل بما أمرني الله به، وقصرت فيه في الدنيا.

قال مجاهد والسدي: ﴿ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ ، أي: في أمر الله [٣].

وقال الضحاك: (في ذكر الله، قال: يعني القرآن والعمل به)[٤].

وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما جلس رجل مجلسا ولا مشى ممشى ولا جلس اضطجع مضطجعا لم يذكر الله فيه إلا كانت عليه ترة يوم القيامة "[٥]، أي: حسرة. وقال إبراهيم التيمي: من

(١) انظر: النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٦٢، ومعاني الفراء ٤٢٢/٢، ومعاني الزجاج ٣٥٨/٤، وإعراب النحاس ١٧/٤

(٢) انظر: مشكل إعراب القرآن ٦٣٢/٢، والبيان في غريب إعراب القرآن ٣٢٥/٢، وإعراب النحاس ١٧/٤

(٣) انظر: تفسير مجاهد ٥٥٩/٢، وجامع البيان ١٣/٢٤، والمحرر الوجيز ٩٧/١٤.

(٤) انظر: إعراب النحاس ١٧/٤، وجامع القرطبي ٢٧١/١٥.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٤٣٢/٢، و٤٤٦، و٤٥٣، و٤٨١، و٤٩٥، ٥٢٧. وقال الحاكم في مستدركه ٥٥٠/١: (صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه).

الحسرات يوم القيامة أن يرى الرجل ماله الذي آتاه الله عز وجل يوم القيامة في ميزان غيره قد ورثه وعمل فيه بالحق كان له أجره وعلى الآخر وِزْرُه. ومن الحسرات أن يرى الرجل عبده الذي خوله الله في الدنيا أقرب منه منزلة من الله جل ذكره، أو يرى رجلا يعرفه في الدنيا أعمى قد أبصر يوم القيامة وعمي هو(١).

وظاهر القول إنه القول جهرة وهو شأن الذي ضاق صَبْره عن إخفاء ندامته في نفسه فيصرخ بما حدَّث به نفسه فتكون هذه الندامة المصرح بها زائدة على التي أسرّها، ويجوز أن يكون قولاً باطناً في النفس.

وحرف (يا) في قوله: { يا حسرتي } استعارة مكنية بتشبيه الحسرة بالعاقل الذي ينادي ليقبل، أي هذا وقتك فاحضري، والنداء من روادف المشبه به المحذوف، أي يا حسرتي احضري فأنا محتاج إليك، أي إلى التحسر، وشاع ذلك في كلامهم حتى صارت هذه الكلمة كالمثل لشدة التحسر.

وما في { ما فَرَّطتُ } مصدرية، أي على تفريطي في جنب الله .

والتفريط: التضييع والتقصير، يقال: فَرَّطَه. والأكثر أن يقال: فرّط فيه. والجنب والجانب مترادفان، وهو ناحية الشيء ومكانه ومنه { والصاحبِ بالجنْب } [النساء: ٣٦] أي الصاحب المجاور.

وحرف في هنا يجوز أن يكون لتعدية فعل { فَرَّطتُ } فلا يكون للفعل مفعول ويكون المفرّط فيه هو جنب الله، أيّ جهته ويكون الجنب مستعاراً للشأن والحقِّ، أي شأن الله وصفاته ووصاياه تشبيهاً لها بمكان السيد وحِماه إذا أُهمل حتى اعتُدي عليه أو أَقْفَرَ.

أو تكون جملة { فَرَّطت في جَنب الله } تمثيلاً لحال النفس التي

(١) انظر: إعراب النحاس ١٨/٤، وجامع القرطبي ٢٧١/١٥.

أُوقفت للحساب والعقاب بحال العبد الذي عهد إليه سيّده حراسةَ حماهُ ورعايةَ ماشيته فأهملها حتى رُعي الحِمى وهَلكت المواشي وأحضر للثقاف فيقول: يا حسرتا على ما فرطت في جنْب سيدي .

معناه أنه لو كانت الحسرة مما يصح نداؤه لكان هذا وقتها.

وعليه فكلُّ ما وردَ في القرآنِ الكريمِ أو غيرِهِ من شواهدِ العربيَّة من (يا حسرتنا / ياحسرة العباد/ وياحسرتا) إنَّما هو نداءُ على الأصلِ لأمورٍ:

- يُحكَمُ على ظاهرِ لفظِهِ، ولا يُصرَفُ عنهُ إلا لقرينةٍ مانعةٍ أو سببٍ موجبٍ.
- وجهُ ندائِه وهو لا يعقلُ محمولٌ على نظيرِهِ الواردِ كثيرًا في لغةِ العربِ، كنداءِ الجبلِ والبيتِ والشجرِ وسواها.
- استحضارُ الحسرة في النِّداءِ أبلغُ من نداءِ القومِ وغيرِهِ ممَّا يُقدَّرُ، فهو أشدُّ وقعًا على النَّفسِ حين تجسيدِهِ في صورةِ الذي يستجيبُ فيحضرُ، استعظاماً لما سيصيبه.
- يقوي الدلالة على النداء قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ١٣ ﴾ [الفرقان:١٣]، نادوا بالثبور يا ثبوراه! يا ثبوراه! هو نداء لكنه خرج عن معنى النداء الحقيقي؛ لاستعظام ما أوقعوا أنفسهم في أمر عظيم لا يستطيعون منه مخرجاً تركبهم منه الحسرة مركباً عظيماً لا تفارقهم وينالهم من الغمّ والندم ما يملأ نفوسهم فليس في نفوسهم مكان لغير الكرب والندم وليس فيها موضع استرواح رائحة أمل ولا تتسم نسمة فرج فهم متحسرون نادمون منقطعون لا تفارقهم الحسرة والندم والغم أبد الآبدين. وعبّر بذلك تفظيعاً لما يصيبهم وهو نظير قولنا عن شخص وقد عمل عملاً نعلم أنه سيلحقه منه خسران كبير: يا خسارته، يا ويله مما سيحصل. نقول ذلك استفظاعاً لما يصيبه واستعظاماً له.

نسأل الله السلامة والعافية.

الخاتمة

عنيت الدراسة بنداء المعاني–بما فيه مِن مغايَرَةٍ وانزياحٍ– إذ لا يمثِّلُ اعتباطًا في شأنِ هذه اللغةِ، وإنما يكونُ لمعنًى يَحسُنُ فيه، أو تلميحًا لمعنًى مدَّخَرٍ يتنبَّأُ به نافذُ البصيرةِ. ومما يؤيِّدُ هذا التقريرَ ويعزِّزُه قولُ النحاة في خروجِ النداء عن الأصلِ؛ إنما هو لازدحامِ المعاني المتغايرةِ على ألفاظِه، فأرادوا أن يُفرِّقوا بين تلك المعاني، أو يكونُ إغرابًا وإثارةً وخروجًا عن المألوفِ.

وتوصلت إلى النتائج الآتية:

- النداء يعدّ موضوعاً متميزاً، تباينت فيه أقوال العلماء وآراؤهم، وقد نظر النحاة إلى أنّ الأصلُ في النداء أن يكون من أقسام الطلب، الدالّ على الإقبال حقيقة أو مجازاً، وقد خصّ سيبويه النداء في مائة صفحة من كتابه.
- الأصل في المنادى أن يكونَ عاقلاً ليستجيبَ للدعوةِ أو يُحدِثَ أثرًا، وقد يأتي بخلافِهِ بأن يكونَ غيرَ عاقلٍ في حالاتٍ مُعيَّنةٍ لأغراضٍ مختلفةٍ.
- الأغراض البديعة في نداء المعاني لا تقلُّ أهميَّةً عن إقبالِ العاقلِ.
- لم يرد نداء النكرة غير المقصودة إلا في آيتين من كتاب الله جل جلاله، الأول يا بشرى، والثانية يا حسرة على العباد، وقد فصلت فيهما القول.
- لم يرد نداء البشرى إلا في آية واحدة من كتاب الله جل جلاله، ومعنى النداء في (يا بشرى) وما في معناها مما لا يجيب ولا يعقل تنبيه المخاطبين، وتوكيد القصة، فكأنّك قلت أبشروا يا أيتها البشرى هذا من أبانك، وقوله: يا بشراي هو على سبيل السرور والفرح بيوسف، هذ رأى أحسن ما خلق.

ونداء البشرى مجاز؛ لأنّ البشرى لا تنادى، ولكنها شبّهت بالعاقل الغائب الذي احتيج إليه فينادى كأنه يقال له: هذا آن حضورك.

- لم يرد نداء الأسف إلا في آية واحدة من كتاب الله جل جلاله، وتولى عنهم وقال: يا أسفا على يوسف! وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم، في مشهد مؤثر للوالد المحزون.
- ونداء الأسف مجاز، حيث نزّل الأسف منزلة من يعقل فيقول له: احضر فهذا أوان حضورك، وأضاف الأسف إلى ضمير نفسه؛ لأن هذا الأسف جزئي مختص به من بين جزئيات جنس الأسف. وكان منذ خرج يوسف من عند يعقوب عليهما السلام إلى يوم رجع فترة زمنية لم يفارق الحزن قلبه ودموعه تجري على خديه ولم يزل يبكي حتى ذهب بصره وما على الأرض يومئذ والله أكرم على الله تعالى منه.
- وقع نداء الويل في سبع آيات من كتاب الله تعالى، وردت أول آية في أول قتيل قتل على وجه الأرض، ولما قتل تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به، فخاف السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى أروح، وعكفت عليه السباع، فبعث الله غرابين فاقتتلا، فقتل أحدهما الآخر، فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة فقال: يا ويلتي أعجزت...وروي أنه أول ميت مات على وجه الأرض. استقصر إدراكه وعقله في جهله ما يصنع بأخيه حتى يعلم، وهو ذو العقل المركب فيه الفكر والرؤية والتدبير من طائر لا يعقل. والنِّدَاء وإن كان أصلُه لِمَنْ يتأتَّى منه الإقْبَالُ وهم العقلاءُ، إلا أنَّ العرب تتجوَّز فتُنَادِي ما لا يَعْقِلُ. وهذه كلمة تُسْتَعمل عند وُقُوعِ الدَّاهِيَة العظيمة ولفظُهَا لفظ النِّداء، كأن الوَيْل غير حَاضِر عِنْده، والمعنى يا وَيْلَتَى احضُري، فهذا أوانُ حُضُورك.
- هذا المشهد العظيم هو مشهد أوّل حضارة في البشر، وهي من قبيل طلب سَتر المشاهد المكروهة. وهو أيضاً مشهد أوّلِ علمٍ اكتسبه البشر بالتّقليد وبالتَّجربة، وهو أيضاً مشهد أوّل مظاهر تَلقّي البشر معارفه من

عوالم أضعفَ منه كما تَشَبَّه النَّاس بالحيوان في الزينة، فلبسوا الجُلُود الحسنة الملوّنة وتكلّلوا بالريش المُلوّن وبالزهور والحجارة الكريمة، فكم في هذه الآية من عبرة للتَّاريخ والدّين والخُلُق.

- وقع نداء الحسرة في ثلاث آيات من كتاب الله تعالى على التفريط في جنب الله، وتضييع العمل بما أمر الله به.

وفي ختام هذا البحث أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل ما سُطِّر فيه خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان الحسنات، وأن ينفع به إخواني من المسلمين، إنه قريب مجيب الدعوات.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- الأصول في النحو أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي، المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ) المحقق: عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.
- إعراب القرآن: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت الأولى، ١٤٢١ هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ المحقق: محمد المرعشلي دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠هـ.
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م –دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) دار التراث – بيروت الثانية – ١٣٨٧هـ.
- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ) المحقق: علي محمد البجاوي عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- التحرير والتنوير، ابن عاشور (المتوفى١٣٩٣هـ)، محمد الطاهر بن محمد (ط)، تونس، الدار التونسية للنشر.
- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن دار النشر: دار الفكر – بيروت / لبنان – ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.
- تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ) د عبد الله بن إبراهيم الوهبي دار ابن حزم – بيروت الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .
- تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم دار الوطن، الرياض – السعودية، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م .
- تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) أسعد محمد الطيب مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية الثالثة – ١٤١٩هـ.
- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ). مجدي باسلوم دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

- تفسير مقاتل بن سليمان أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ) المحقق: عبد الله محمود شحاته دار إحياء التراث – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٣هـ.
- تفسير يحيى بن سلام يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: ٢٠٠هـ) تحقيق: د هند شلبي دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي – بيروت الأولى، ٢٠٠١م.
- التيسير في القراءات السبع، الدّانِي (ت٤٤٤هـ)، أبو عمرو عثمان بن سعيد، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م). تحقيق: أوتو تريزل، (ط٢)، بيروت، دار الكتاب العربي.
- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ) المحقق: هشام سمير البخاري دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
- الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية – القاهرة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

- الجمل في النحو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (المتوفى: ١٧٠هـ) د. فخر الدين قباوة الخامسة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه- تحقيق: عبد العال مكرم، (ط٤)، بيروت، دار الشروق.
- الحجة للقراء السبعة، الفارسي (المتوفى: ٣٧٧هـ)، أبو علي الحسن بن أحمد: (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣). تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، (ط٢)، دمشق؛ وبيروت، دار المأمون للتراث.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الرابعة.
- الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط دار القلم، دمشق.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم. محمد عبد الخالق عضمية (ت١٤٠٤هـ)، (د.ط)، القاهرة، دار الحديث.
- ديوان كثيّر عزّة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت الطبعة الأولى-١٩٧١م
- ديوان متتم بن نويرة: مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، تأليف ابتسام الصفار. مطبعة الإرشاد. بغداد. ط ١٩٦٨.
- ديوان النابغة الذبياني، شرح وتعليق حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي-الطبعة الأولى -بيروت ١٤١١هـ-١٩٩١.
- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت الأولى - ١٤٢٢هـ.

- السبعة في القراءات، ابن مجاهد (متوفى:٣٢٤هـ) أبو بكر أحمد بن موسى، تحقيق: شوقي ضيف، (١٤٠٠هـ). (ط٢)، القاهرة، دار المعارف.
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة١٢٨٥ هـ.
- سفر السعادة وسفير الإفادة، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣ هـ) د. محمد الدالي دار صادر ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
- شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن محمد بن أبي السرايا موفق الدين، (متوفى: ٦٤٣هـ)، عالم الكتب –بيروت، ومكتبة المتنبي– القاهرة.
- شرح تسهيل الفوائد، ابن مالك (متوفى:٦٧٢هـ)، محمد بن عبد الله. تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، (ط١) الجيزة، هجر للطابعة والنشر.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) محمد علي بيضون الطبعة الأولى ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.
- غرائب التفسير وعجائب التأويل محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ) دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.
- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت الأولى – ١٤١٤ هـ .

- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ) عبد السلام محمد هارون: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- الكليات، الكَفَوي (متوفى:١٠٩٤هـ)، أبو البقاء أيوب (د.ت). تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، (د.ط)، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) المحقق: فائز فارس دار الكتب الثقافية - الكويت.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ) محمد فواد سزگين مكتبة الخانجي - القاهرة ١٣٨١هـ البرهان في علوم القرآن ٣٥٣/٣.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني (المتوفى: ٣٩٢هـ) ، تحقيق: علي النجدي، عبدالحليم النجار، عبد الفتاح شلبي، دار سزكين للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م
- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.
- المساعد على تسهيل الفوائد، ابن عقيل، تحقيق محمد كامل بركات، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) د. حاتم صالح الضامن مؤسسة الرسالة - بيروت الثانية، ١٤٠٥هـ.

- معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ) محمد علي الصابوني جامعة أم القرى – مكة المكرمة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ): أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر الأولى.
- معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ): عبد الجليل عبده شلبي: عالم الكتب – بيروت الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

•مفاتيح الغيب، التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

- المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة. بيروت: عالم الكتب.
- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (المتوفى:٨٣٣هـ) شمس الدين محمد بن محمد، تحقيق: علي الضبَّاع، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السِّيوطي (المتوفى:٩١١هـ). تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (د.ط) القاهرة: المكتبة التوفيقية.